

المحاضرة الخامسة

سورية في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م (صراع القوى الكبرى على سورية)

أصبحت سورية خلال النصف الثاني من الألف الثاني ق.م منطقة نزاع دائم بين إمبراطوريات الشرق القديم الكبرى، وهي الإمبراطورية المصرية الحديثة والإمبراطورية الحورية الميثانية، والإمبراطورية الحيثية الحديثة. برزت خلال تلك الفترة بعض القوى المحلية التي حاولت التخلص من سيطرة الإمبراطوريات الكبرى.

تعرضت سورية خلال القرن الثاني عشر ق.م لهجمات مدمرة من قبل شعوب غير معروفة وهي شعوب البحر The sea peoples وأدت إلى خراب شامل ودخول البلاد في حقبة مظلمة لا نعرف عنها شيء.

قام الفرعون المصري كاموس Kamose آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة بمحاربة الهكسوس الذين استقروا في دلتا النيل، ثم لاحق أخو أحمس الأول Ahmose 1 (1527-1550 ق.م) مؤسس الأسرة الثامنة عشرة بملاحقتهم حتى جنوبي فلسطين.

ثم خلفه امنحوتب الأول (1527-1506 ق.م) ثم حفيده تحوتمس الأول الذي سار بجيش إلى سورية التي كانت المجال الحيوي لمصر، فلم يلق مقاومة تذكر، وصل إلى الفرات ثم غادرها دون ترك قوات فيها، أو إبقاء للنفوذ المصري هناك. لما يدل أنه أراد من هذه الحملة استعراض قوة جيشه وكفاءته الحربية أمام الممالك السورية وإمبراطورية حوري-ميتاني.

فاستغلت هذا الوضع إمبراطورية حوري - ميتاني، وخاصة بغياب ملكة حتشبسوت فشجعت على

قيام تحالف من الممالك السورية ضد الإمبراطورية المصرية الحديثة.



حتشبسوت- تحوتمس الأول- كاموس

وبحسب نقش ضم التحالف على 330 أمير بقيادة أمير قادش الذي جمع القوات في مدينة مجيدو (حاليا تل المتسلم بالقرب من جبل الكرمل في شمال فلسطين على بعد 29 كم شمال شرقي حيفا), وفي منطقة إستراتيجية لمراقبة طرق المواصلات والتجارة بين سورية ومصر, وكان هذا التحالف تشكل عقب وفاة الملكة حتشبسوت للاستفادة من الظروف الجيدة والتخلص من النفوذ المصري.

معركة مجيدو

استلم الحكم بعد حتشبسوت تحوتمس الثالث, وجهز جيش لملاقاة قوات التحالف السوري المرابطة بالقرب من مجيدو, وعبر طريق صعبة غير متوقعة الأمر الذي أحدث مفاجئة كبيرة بين صفوفها وجعلها تلوذ بالفرار للاحتماء بأسوار مجيدو, وجمع الأغنام وحاصر مجيدو حتى استسلمت له وقدم جميع من كان معه بحسب النصوص.

وتعد معركة مجيدو من المعارك المهمة في التاريخ وقد نتج عنها توطيد النفوذ المصري في جنوب سورية (فلسطين) أما منطقة شمال سورية فقد بقيت معادية للمصريين لوجود أمير قادش فيها الذي هرب من مجيدو وكان يتلقى مساعدات من مملكة حوري ميثاني.

لكن تحوتمس الثالث تمكن من الانتصار بمهاجمة قادش والانتصار على أميرها ورجع إلى مصر ومعه أمراء المدن السورية, ولاحق فلولهم حتى كركميش على شاطئ الفرات, وعبر تحوتمس الفرات بسفن جلبت من جبيل.

ولتأكيد نصره أقام تحوتمس الثالث نصبين على ضفة الفرات الشرقية سجل عليها أخبار انتصاراته، لكنهم لم يستطيعوا حماية شمال سورية من هجمات إمبراطورية حوري ميثاني، وأصبحت سورية مقسمة إلى منطقتي نفوذ:

- المنطقة الشمالية: تمتد حتى قطنه بالقرب من حمص وتخضع للإمبراطور الحوري الميثاني.

- المنطقة الجنوبية: وتمتد على ساحل البحر المتوسط حتى أوجاريت وتخضع للإمبراطورية المصرية الحديثة. الخضوع والطاعة الاسمية فهم مسؤولون عن إدارية أمورهم الداخلية. وحسب وثائق عصر العمارنة كانت مقسمة منطقة النفوذ المصري في سورية إلى ثلاث مقاطعات:

1. مقاطعة أمورو ومركزها مدينة صومور Sumur الواقعة على مدخل البحر المتوسط (تل الكزل الحالي جنوب طرطوس).

2. مقاطعة أوبي Upe مركزها كوميدي حالياً كامد اللوز في منطقة البقاع اللبنانية وتخضع لها منطقة دمشق.

3. مقاطعة كنعان ومركزها غزة ويقوم في مركز كل مقاطعة موظف مصري يراقب ما يجري ويعرف بالنصوص المسامرية الأكادية (رابيسو Rabisu) والنقوش المصرية (مراقب البلاد الأجنبية الشمالية).





توثيق المعركة

عصر العمارنة (1380 - 1350 ق.م)

سمي بهذا الاسم نسبة إلى تل العمارنة الواقع بالقرب من مدينة أسيوط على بعد 300 كم جنوب القاهرة. حيث كانت توجد مدينة (أخيت أتون Achet -Atun) عاصمة الفرعون المصري أمنحوتب الرابع أخناتون.



وعثر في هذا الموقع على 382 لوحاً مسامرياً كتبت باللهجة البابلية المتأخرة باللغات الكنعانية التي كانت سائدة في سورية. وتتضمن الألواح مراسلات ملوك وأمراء وحكام بابل وآشور وحموري ميثاني، وممالك سورية المتعددة، وقبرص مع فرعوني مصر أمنحوتب الثالث والرابع. تعطي هذه المراسلات صورة عن الأوضاع التي سادت في سورية في ذلك الوقت، ومعلومات عن الممالك والقوى السياسية الموجودة في مقدمتها أمورو وقادش اللتان حاولتا التخلص من التبعية لمصر بالانحياز إلى طرف الحثيين الذين بدأوا بالتنافس مع المصريين من أجل السيادة على سورية، وبعد ضعف إمبراطورية حموري ميثاني وتراجع نفوذها في سورية. لكن جبيل وقطنه حافظتا على ولائهما لمصر.



مملكة أمورو

نشأت هذه المملكة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وامتدت من ساحل البحر المتوسط من الغرب إلى سهول حمص من الشرق، ومن أوجاريت في الشمال إلى جبيل في الجنوب. وقد عُرفت من خلال نصوص أوجاريت والعمارنة تضم 75 رسالة تتحدث عن أمورو. وهناك خمس وثائق من أوجاريت تورد معلومات عن علاقة أمورو مع أوجاريت.

وقد تمتعت أمورو بأهمية كبيرة بحسب وثائق عصر العمارنة نتيجة موقعها الجغرافي والسياسي في منطقة غنية تنازعت عليها قوى العصر الكبرى (الإمبراطورية الحورية الميتانية - الإمبراطورية المصرية الحديثة- الإمبراطورية الحثية الحديثة)، وحاول حكامها الحفاظ على دولتهم من خلال إقامة التوازنات في تلك القوى الكبيرة.

تعرضت أمورو للخراب والتدمير على أيدي شعوب البحر التي هاجمت سورية في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد ويذكر آخر ملوكها شاولشجاموا أنه كان حليفاً في بعض الوثائق الحثية وبعض نصوص أوجاريت أختاً لزوجته ملك أوجاريت عميشترو الثاني.



عشترينا

مملكة قادش

يعرف موقع قادش الحالي باسم تل النبي مند الواقع على بعد نحو خمسة وعشرين كيلو متراً جنوب غرب حمص الحالية. واستمدت أهميتها من كونها قريبة من جبال لبنان من البحر المتوسط ومن تقاطع طرق التجارة والمواصلات الذاهبة من دمشق إلى حلب ومن جبيل وأمورو غلى تدمر وبلاد الرافدين وبالعكس، الأمر الذي مكن حكامه من مراقبة حركة التجارة وجني أرباح كبيرة من جراء ذلك.

ونذكرنا سابقاً كيف أن أمير قادش قاد تحالف معركة مجيدو ضد الفرعون المصري تحوتمس الثالث. أما في عصر العمارنة فقد برز أميرها أيتا جاما Aitagame الذي حاول تقليد حاكم أمورو في الاستفادة من الصراع الحثي المصري على سورية. ووسع نفوذه باتجاه الجنوب على حساب المناطق التابعة للمصريين مثل قطنه وذلك لان شمال سورية كان يتبع الحثيين أسياده.

وقد وقعت قادش إلى جانب الحثيين في المعركة المسماة نسبة إليها (معركة قادش) التي جرت بين المصريين والحثيين (سنذكرها لاحقاً). ودمرت شعوب البحر قادش ضمن ما دمرته من مدن ومناطق سورية المتعددة.

